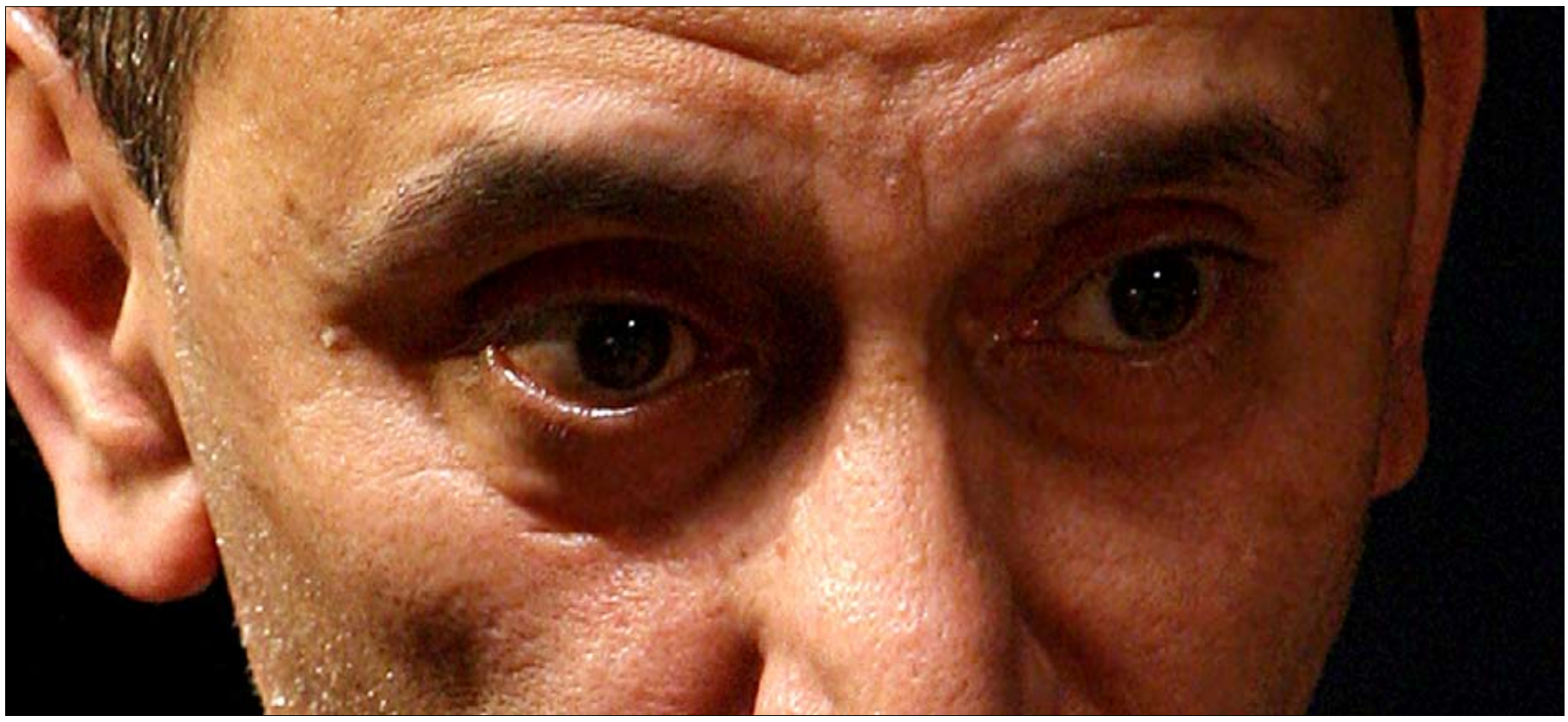

تصوير
مروان طحطح

هناك محل ببيروت كنا نعمل فيه، سكّر. الجاز لاونج. كان هناك سمّيعة يأتون للسمع بدون «مناقمة»أو «إذا ما غنّيتو عايشة وحدا بلاك منكسر المحل». (يضحك) كما أني اكتشفت سهولة في التعرف إلى موسيقيين مقيمين هناك، هذا فاجأني وأغراني. عملنا فرقة وعزفنا بكذا محل. كل واحد منّا من بلد. الآن سأعمل معهم هناك.

■ رغم تأزّم الأوضاع، ولفترة طويلة، من زمن لم نسمع لك شيئاً مثل «قوم فوت نام» أو «بما أنّو»، هذه الأوضاع كانت دائماً تنتج عندك شيئاً ما.

- هناك كمية مواد كتبت من زمان، وبقيت ولم تكمّل بعد جوزف صقر. وفعلاً، بين هذا الإنسان اليوم، وبعد مرور كم من السنوات؟ 13 سنة؟ (على موته) ظهر أنه لم يكن إنساناً من الهيّن تعويضه. وإلا لكنت رأيت «حدا عم يغني هالأغاني».

■ تقول إنك كتبت أغاني كهذه، لكنها مهملة لأن لا صوت يغنّيها؟

- إيه، والحل ليس كما يظن بعض الناس حين يسألونني «إنو ليه أنا ما بطلع غنّيها»؟ أنا غنّيت كمساعد مطرب (يبتسم) وطوارئ. وحقيقة، بالحرب، اضطررت إلى التدخل بعض الشيء لقول أشياء لم يكن هناك من يستطيع قولها... من ينطقها باللفظ بشكل صحيح، أكثر من الغناء. كان هذا أيام أنا مش كافر. بعد غياب جوزف صقر صار الناس، يخلطون بيني وبين جوزف، ملتبسة القصة، «بمصر مثلاً مفكريني أنا مغنيهن». وكما قلت لك كان هناك الكثير من المواد، ولكن بعد وفاة جوزف، انتركت.. ومع الوقت راحت وراحت.

■ قضية إرث الأخوين رحباني، وبغض النظر عن كل التفاصيل والمحاكم، بالنهاية تطرح هذه القضية إشكالية حقيقية: من يحق له التصرف في إرث وطني ثقافي فني؟ من يحق له المنع أو السماح ووفقاً لأي معايير؟

- أولاً، ليس هناك عادة شركة من اثنين، أي خمسين بخمسين. أقصد بطريقة لا أحد يملك فيها القرار. وعادة إذا بدك تعملي مشاكل بتعمل شركة من اتنين، لأنو واحد بيقول لأ وواحد بيقول إيه، بتضلها واقفة، بس الأخوين رحباني هيك شاؤوا يعملوا بوقتها. وأنا برأيي، احتراماً لهم، وخاصة أنهم ما عادوا موجودين، يجب أن يبقى هذا الشيء بأي طريقة. شركة من اثنين: لا يقال لهذا 70% وللآخر 30%، ولا العكس. حتى لو لم نكن نعرف ما الذي كان بين هذين الشخصين. وكم كان كل واحد منهما يشتغل وبماذا كان يشتغل. نعرف أو لا نعرف، «ما خصّنا بقى بهالشي. يعني هيدي هيك انعرفت ومسجلة للأخوين رحباني. من هما هذا الاثنان اليوم؟ الورثة. هذان الاثنان، وبما أنهما موجودان بالمحاكم، (وعلى فكرة هذه الدعوى بدأت قبل وفاة عمي منصور، الله يرحمو، وليس الورثة من رفعوها. هم فقط يتابعون الدعوى التي بدأت أيام «صح النوم») «بدون أن ندخل بتفصيل شو صار في ادعاء من جهة عمّي على فيروز، وإذا كان مزبوط أو لأ» أنا كنت أحاول... بين الاتنين يعني شو بتقولي؟

■ وسيط؟

- وسيط، صحيح. وقعدت مع عمي مرتين ومع إمي مرتين لنجرب سحب هذه القصة من المحكمة والتوصل إلى صيغة. لكن، عمّي لم تساعده صحته وتوفّي. كنا بهذه المرحلة. توقعت بعد وفاته أن تطرّى الأمور من أولاد العم، وأن يجدوا صيغة ما، لا أعرف ما هي... لكن إذا أردت أن ألخص لك المشكل، ممكن أن نصل إلى وقت، إذا لم يستطيعوا التوصل إلى الاتفاق على صيغة معينة، فإن هذه الشركة من اثنين، يحكمها: الحسد المهني، وصغر العقل اللي بيجيب نكايات، والمصاري. ماذا تريدين أسوأ من هيك؟ كيف سيتعاطون بعضهم مع بعض؟ والقضاة المستلمين الملف، يؤجّلون ويعطون مهل «إنو بلكي بيوصلوا لصيغة»؟

■ والحل؟

- برأيي إذا بقيت الأمور على ما هي عليه، ربما يجب طرح طريقة على مسؤولين كبار بالبلد يعني... رئيس الجمهورية، رئيس الحكومة... إلخ. بمعنى «إنو بدنا خيّي حدا يحطّ إيدو ويتبنّى هالتراث، ويعطي حقوق للورثة»، لأن هؤلاء غير جديرين بأن يكونوا ورثة، فصغر العقل هذا على شيء لا دخل للناس به وهو لكل الناس وهو للأخوين رحباني، ويجب أن يبقى كذلك.

■ بالمعنى العملي، كيف يترجم هذا الاقتراح؟ هذه اللجنة الوطنية من هي؟ ماذا تقرر؟ من يحق له الغناء؟ إعادة تقديم المسرحيات؟ إعادة التوزيع؟

- ستكون قيّمة على الإرث، ما يشابه حارساً قضائياً على مؤسسة موضع نزاع، وبالطبع يجب أن يكون ضمنها شخص مختص، وقد ينتدب فيها «حدا من العيلة» لأنو موسيقي ، وبرأيي هو موجود، أعني الياس، الأخ الأصغر للأخوين رحباني.

■ كلام «تبقى أساميهن» في ألبوم «إيه في أمل» موقف أيضاً؟

- هذه «غير قصة». أساساً كان يجب أن تنزل إلى السوق منذ أكثر من سنة، فقد سجلناها إثر وفاة عمي منصور بشهر. وكانت بصوت فيروز، لكنها عادت وطلبت نزع صوتها عنها لتقليل المشاكل. و«إذا بدك أنا كيف شايفهن؟ ببساطة هاي الغنيّة» ولو أني لم أكن مع عمي في ما كان يأخذه من مواقف «آخر شي»، لكن له محل عندي «ملزّق بتاريخه الماضي». كنت صريحاً معه بكل الأمور. إذا سألني رأيي في عمل من الأعمال التي كان يعملها كنت أقول. من الأعمال التي كتبها أخيراً، قلت له «حبّيت هاي والباقي كلّه ما حبّيتو». كان يسبّ لي بمودّة يعني «يلعن ربك، ما بيعجبك شي»، بس أنا ما كنت كذّب عليه. وكان دائماً يطلب مني «سمّعني شو عم تعمل».

■ وهل كنت تسمعه؟

- إيه.

■ وأسمعته ما أعدت توزيعه في أسطوانة «إلى عاصي»؟

- طبعاً.

■ ما كان عندو مشكلة؟

- أبداً. علاقتي بعمّي، وبسبب العمر، أطول بقليل من علاقة أولاده به. أنا الأكبر، وأقرب واحد ورايي هوّي ابن عمي مروان.

■ أنت أكبر منه؟

- في فرق سنة أو سنتين، لكن أكثر بكثير من أسامة وغدي. من أيام التسجيل بالاستديو، للتنويط، للقصص التي كانا يكلفانني بها، بمعنى: وزّع هالمقطع، تمرّن فيه يعني. لحّن هالغنية. بعرف شوية من جوّا القصص كيف كانت. وبرغم ذلك أصرّ على أن كل هذا يجب أن يوقّع باسم الأخوين رحباني. هكذا كانا يريدان. من بينهما كان يريد هذا؟ مَن مِن الاثنين؟ «ما حدا خصّو». (يضحك) إنو مين عمل هالشركة «الخـ... ائية»؟ كمان ما حدا خصّو.

■ كان عندك مشروع بألمانيا؟

- أجلّناه. لأجل غير مسمى.

■ وألبوم جديد؟

- (يضحك) والله يفترض إذا ضلّت فيروز محمّسة كما هي الآن وعملت حفلتين، وأفرجت عن الألبوم، يعني، بلّشت تسأل: شو عنا مواد لألبوم جديد؟ قلت لها مثلاً عندنا هول (6 أغاني خالصة) فقالت لنبدأ بالتسجيل، فقلت لها لشو؟ عيب أن ننزل أسطوانتين بفترة قصيرة لهالدرجة. بس تعملوا الغلاف (يضحك) بمجرد ما تصيروا عارفين شو الغلاف؟ نبدأ بالتسجيل.

■ من التحليلات عندما اختفيت كل هذه المدة، أن زياد «عامل أزمة منتصف العمر».

- والله؟

■ إيه... بمعنى جدوى ما فعلت حتى الآن، الإشيا اللي مش عم تتغير، يعني شو الفايدة؟ وهل اللي عملناه كان منيح أو لأ؟

- إذا هاي كريزة منتصف العمر، أنا هيدي كل يومين بعملها (يضحك) مش واقفة هلق ع تموز.

■ تموز؟

- نعم حين تعبت صحياً، كان ذلك فعلاً بتموز. لكن السبب نفسي، يعني من راسي. لأني جئت ببرنامج لبيت الدين، ما إن وصلت بيروت، بدأت الأسئلة: شو رح تغنّوا؟ شو رح تغنّي؟ أنا يعني!

■ لذلك ذكرت قصة جوزف صقر؟

- إيه... أحسست كمن خطط لشغلة وماشي فيها، ومسهلة وجايب فرقة موسيقية ع أساس هالبرنامج، يللي ما فيه ولا غنيّة. لكن ما إن عرفت أن 4 آلاف تذكرة قطعت وبوقت بسيط، أحسست «إنو لأ في حفلة هيصة»! لن تقطع بلا أغاني، وابتدأ التدهور وعدم الأكل وعدم النوم، ولم يعد ضغطي ينزل. أردت حفلاً موسيقياً. وبلحظة قلت لنفسي: لا أصدق، معهم حقّ من أتوا يسألونني ماذا سنغني، لا أصدق أن هناك 4 آلاف شخص راحوا قطعوا بهالسرعة، من أجل أن يسمعوا بس موسيقى. كانوا أيضاً يفاوضونني على ليلة ثانية كون التذاكر بالأولي بيعت بسرعة. وفوق ذلك، رجعوا حطولنا «جاز كونسرت» قبل ما أوصل أنا من أبو ظبي. وصلت... قلت لهم: «رجعتوا جبتولنا البلاء؟ خلّونا نرجع نوضح هلق... واللي اشترى أكيد قاري «جاز كونسرت»، بس متل إجرو». (يضحك) أكيد فيها عايشة وحدا بلاك. (يضحك) عاملينها جاز بيكونوا. حسّيت إني ما بصدّق إنو في 4 آلاف بيسمعوا مني موسيقى، مش حتى جاز. قررت فوراً مطربة، و«علقت نقي أيّ أغاني بيزبطوا لأنّو الأغاني بالأصل مش لبنات». فجأة، أصبحنا بحاجة إلى مطرب ومطربة، أي كورس أيضاً، يعني؟ «نطت» الفرقة للدوبل عن الحجم الموافق عليه. هكذا، أحسست بأنني لا أستطيع، فعلاً لن أستطيع. أحسست بأنني طالع ع (بيت الدين) لأعمل شي اسمه فشل... (ينظر إلى المسجّل فجأة: هلّق تأكديلي ماشية هالمسجلة؟) سألتيني إن كان معقول إني غاطس بأزمة منتصف العمر؟ لأ. الأمور بدأت معي من زمان. هناك أزمة «إذا بدك»، الماركسية تقول: هيك صار، يعني هيك كان لازم يصير. بمعنى أنا قررت البقاء بلبنان و«هيدا اللي طلع معي أنا وبلبنان». قد يجب أن يحل الوقت الذي أتقبّل فيه هذا الشيء. أحياناً أتقبّله «بمساعدة» أصحاب، بجلسة ربما الناس مبسوطين فيها، يمكن عم يشربوا شغلة، معيْدين، ويقولولك: والله منيحة هالأعمال، عظيمة..

■ لكنك أنت غير راض؟

- كالكثيرين، أحيانا تقولين لنفسك: صحيح، «طرقتنا» الحرب الأهلية. لو خرجنا من لبنان أيامها، ربما لتعلمنا أشياء كثيرة ولعملنا أشياء كثيرة. في الوقت ذاته «يمكن لو ضهرنا كمان ما صار شي». لكن يبقى هناك في رأسك شيء يطالبك: انت ونايمة يطالبك ـ عندما تكونين مستيقظة تتلهين عن التفكير وبيمشي الحال ـ يعني أهم شي إنو ما تفكري: أضعت 30 سنة من عمري. ما الفائدة من التفكير؟ ما الذي بإمكانك أن تزيديه على هذه الجملة؟ أن أحاول تعويضها؟ ليس أكيداً أن معي 30 سنة أخرى، وحتى لو كان معي، الأكيد أن نوعيتها «مختلفة» عن الـ30 سنة الأولانية..(يضحك) هذه هي قصة الحرب تحديداً، أنا بقيت في البلد. لكن، من جهة ثانية، لم تكن هناك قوة لتخرجني من البلد وقتها: بمعنى: فائدتي هنا، ويجب أن أبقى لأفيد... إيه. مع الوقت، بعدما قطعت الحرب، لا يعود الإنسان يعرف إن كان فعلاً قد أفاد. «بس إنو أبو الزوز سمّعنا شو آخر نكتة! بتعملك مشكلة». وهذه الحالة، «بتغيب وبترجع». وقد تأخر الواحد ليفكر أن يرحل، إلى أي محل. ولذلك يصبح ضرورياً القيام بالتمارين التي ذكرتها في بداية المقابلة.

■ هل يعقل أنك تشكّ في قيمة ما فعلته خلال الحرب الأهلية؟ هل هناك وثائق أصدق وأهم من كل ما وثقت به هذه الفترة؟ كيف دمغت الوعي السياسي والفني لأجيال بكاملها؟

- إيه، بس بتعرفي إنو الواحد ما بيهمّو شو أكل مبارح، بيهمّو شو طابخين الليلة.

الناس لم يعودوا معتادين القاعدة والقانون

خلاف الورثة يحكمه الحسد المهني وزغر العقل والمصاري

فلتدر لجنة وطنية إرث الأخوين مع مندوب عن العائلة

أهم شيء ألا تفكري: هل أضعت 30 سنة من عمري؟